نظرية التلقي وأطروحاته

The theory of receptivity and his theses

د. الشريف مرزوق*

جامعة أم البواقي، الجزائر

merzcherif05@gmail.com

تاريخ الارسال19-05-2021	تاريخ التقييم13-06-2021	تاريخ القبول30-06-2021

الملخص:

حظيت العلاقة بين النص والملتقي باهتمام الكثير من الدارسين في مختلف الاختصاصات. ويحاول هذا البحث أن يقف على نظرية التلقي، والتي تعد إحدى أهم النظريات في ميدان الدراسات الأدبية والاتصالية، مبينا حقيقتها، وفاعليتها، ومكانتها قديما وحديثا، مركزا على أطروحات فعل التلقي الأربع، التي اتخذتها المقاربة الارتباطية المنطلقة من شخصية المتلقي وتجاربه، ومشاركته في الفعل الاتصالي، مع بيان أنماط التلقي والمتلقي.

الكلمات المفتاحية : نظرية ؛ تلقي ؛ متلقي ؛ أطروحة ؛ أنماط.

Abstract

The relationship between the text and receiver has considered by many scholars in various disciplines.

This research tries to stand on the receptive theory, which is one of the most important theories in the field of literary and communication studies, indicating its truth, effectiveness, and position in the past and present, focusing on the four treatises of the act of receiving, which was taken by the relational approach based on the personality of the recipient and his experiences, and his participation in the communicate action, indicating reception and recipient patterns.

Keywords : theory ; receiving ; recipient ; thesis ; types.

*المؤلف المراسل:

مقدمة :

يشكل موضوع التلقي جانبا هاما في حقل الدراسات الأدبية، والاتصالية. وهو يبحث في العلاقة بين النص والمتلقي، الذي يعد المصدر النهائي والفاعل الحقيقي في إنتاج الدلالات ، وذلك نتاج التفاعل بين القارئ والنص. وقد شكلت علاقة النص بقارئه من أهم الأطروحات النقدية الحديثة التي أحدثت ثورة في المناهج التقليدية التي اهتمت كثيرا بالمؤلف وحياته وظروفه. وهذا الإسهام نادى بظهور نظرية التلقي، التي تهتم خاصة بالعنصر الثالث في العملية الاتصالية وهو المتلقي، إلى جانب المرسل والرسالة، وذلك عن طريق إقامة نظرية خاصة به من خلال العلاقة التفاعلية التي مؤداها إنتاج معاني ودلالات وتأويلات خاصة به. و يتعلق الحديث عن وضعية التلقي حتما الحديث عن مفهوم الجمهور، الذي تمّ النظر إليه انطلاقا من مقاربتين رئيستين، الأولى: يدور محورها حول حتمية التأثير، التي يكون فيها المتلقي مجرد مستهدف سلبي لا يحق له إضفاء تعديلات على سيرورة الاتصال، أما الثانية فهي تلك المتعلقة بالرؤية الارتباطية أو النسبية التي تتداخل فيها عدة متغيرات لتفسير وتأويل الرسائل الإعلامية ،انطلاقا من شخصية المتلقي وتجربته المتراكمة، أي أنها تدرس فعل التلقي في حد ذاته.وانطلاقا من ذلك هناك أربع أطروحات تتعلق بمجال البحث في ميدان التلقي، والتي اتخذتها المقاربة الثانية كأساس تنظر إلى التلقي بأنه بنية حقيقية تدور حول ديناميكية مشاركة المتلقي في استقباله للمضامين الإعلامية.

وفي هذه الدراسة الوصفية التحليلية نحاول بيان طبيعة هذه الأطروحات، ومدى ارتباطها بفعل التلقي؟

والغرض من ذلك التأكيد على أهمية التلقي في بعديه الأدبي والاتصالي،والوقوف على آخر ما توصل إليه الباحثون في هذا الحقل.

1- معنى التلقي:

بداية نستعرض مفهوم التلقي، قد ورد في معجم "لسان العرب" لابن منظور بالشكل التالي: تلقاه أي استقبله، وفلان يتلقى فلانا أي يستقبله، ولقاء الشيء وألقاه إليه وبه، وقد فسر الزجاج قوله تعالى: ﴿ وإنك لتُلقّى القرآن من لّدُنّ حكيم عليم﴾ **(النمل: 6)**. أي يلقى إليك وحيا من عند الله، وأما قوله تعالى: ﴿ فتلقّى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه إنهُ هو

التوابُ الرحيمُ﴾ (البقرة: 37). فمعناه أنه أخذها عنه، وقيل تعلمها ودعا بها (عاشور توامة، 2016، ص11) .

فدلالة الاستعمال القرآني لمادة التلقي تنبه إلى ما تحمل هذه المادة من إيحاءات وإشارات إلى عملية التفاعل النفسي والانفتاح الذهني مع الخطاب، حيث ترد أحيانا مرادفة لمعنى الفهم والفطرة، وهي مسألة لم تغب عن ذهن بعض المفسرين والأدباء في الإشارة إليها (عاشور توامة، مرجع سابق، ص11).

وتدل كلمة التلقي على استقبال شيء ما، كما تدل أيضا على العناصر التي تتحكم في قراءة جمهور معين للخطاب الفني والأدبي والإعلامي، وبعبارة أخرى ذلك الفعل الذي يمارسه الفرد كإنسان له مكوناته النفسية والذهنية والانفعالية والاجتماعية لتفسير ما يقدم له هذا المعنى، حيث يتضمن الإحساس والذكاء والإدراك وبناء المعنى (مخلوف بوكروح، 2006).

إذن، التلقي هو مجموعة من الاتجاهات والنشاطات التي يظهرها المتلقي في تلقيه لرسائل الأعمال الأدبية و الفنية و الإعلامية، كما يمثل أيضا الطريقة أو الأسلوب الذي يستخدم فيه المتلقي المعلومات التي يتلقاها من الخطاب مهما كانت طبيعته.

ومن جانب آخر فقد ورد لفظ التلقي في القرآن الكريم بدلا من لفظ استقبال، حيث قد يدل أو يشير إلى عملية التفاعل النفسي مع النص. كما نجد أن الدراسات الحديثة ركزت على لفظ التلقي، وهذا ما نجده شائعا عند كل من (ياوس) و(إيزر)، حيث يعتبر هذا اللفظ هو الجامع لألفاظ القراءة والاستجابة والاستقبال (جمال العيفة، 2005، ص 127 – 128).

إذ أن التلقي هو نشاط إيجابي يتم في شكل انتقاء لبعض ما يقع على حواسنا دون البعض الآخر وينظم الحكم النقدي الذي هو محاولة للارتفاع بفعل التلقي إلى مستوى شعوري وتنظيمي أعلى (مصطفى سويف، 1999، ص 203).

لكن وكما نعلم، أنّ مفهوم التلقي في حد ذاته ميدان واسع وعام، فيمكن أن ندرجه في جميع أنواع الخطابات التي يتلقاها الجمهور.

والمستقبل أو المتلقي عنصر هام من عناصر الاتصال، وهو الذي يتلقى الرسالة ويقوم بفك رموزها ويتفاعل معها ويتأثر بمضمونها.

2-نظرية التلقي وخلفياتها الفلسفية:

إن موضوع التلقي يشكل جانبا هاما في حقل الدراسات الأدبية، كما يمثل جانبا حيا في ميدان الاهتمامات العلمية والاجتماعية والاتصالية. فنظرية التلقي تبحث في العلاقة بين

النص والمتلقي، هذا الأخير حاضر في ذهن الكاتب أثناء عمليات الكتابة والإنتاج. فهذه النظرية تركز من جهة على التفاعل بين النص المتلقي، ومن جهة ثانية تركز على إبداع المتلقي، حيث جعلت منه المصدر النهائي والأساس والفاعل الحقيقي في إنتاج الدلالات (حنان شعبان، 2009، ص74) ومن ثم يتم الحصول على المعنى الذي هو نتاج التفاعل بين القارئ والنص،وبالتالي شكلت علاقة النص بقارئه من أهم الأطروحات النقدية الحديثة التي أحدثت ثورة في المناهج التقليدية التي اهتمت كثيرا بالمؤلف وحياته وظروفه. وظهر توجه جديد بريادة (رولان بارث) الذي أعلن " موت المؤلف " حيث شكلت دراسته بنفس العنوان تحولا هاما في ميدان الدراسات الأدبية والإعلامية. وجوهر هذا التوجه يرفع من سلطة القراءة والقارئ. وهذا الإسهام نادى بظهور نظرية التلقي التي تهتم خاصة بالعنصر الثالث في العملية الاتصالية وهو المتلقي، إلى جانب المرسل والرسالة وذلك عن طريق إقامة نظرية خاصة به من خلال العلاقة التفاعلية التي مؤداها إنتاج معاني ودلالات وتأويلات خاصة به (حنان شعبان، المرجع السابق، ص75).

وتولي نظرية التلقي عناية بالغة لسياق التلقي والمتلقي، وذلك من خلال إنتاج معاني وتأويل النصوص انطلاقا من خبرات المتلقي وتكوينه الشخصي. لأن فعل التلقي يختلف من قارئ لآخر حسب تكوينه النظري والميول والرغبات، وحسب قدرته الاجتماعية والثقافية التي يحملها، وكل هذا يشكل مخزونا أو مرجعيته الخاصة به (حنان شعبان، المرجع السابق، ص75).

إن نظرية التلقي تندرج ضمن الحقول المعرفية الحديثة التي أعطت دفعا قويا للاهتمام بالمتلقي باعتباره الفاعل الحقيقي والمشارك في إنتاج الدلالة والمعنى.

لقد جاءت نظرية التلقي لتطرح مقاربة جديدة تراعي سياقات النص المتعددة التي تسهم في إنتاجه وتلقيه.

وقد نقلت نظرية التلقي مركز الاهتمام من المؤلف إلى القارئ بوصفه الذات التي تمنح النص حياته الحقيقية، وتعيد إنتاج معناه (مخلوف بوكروح، 2011، ص 7).

وفي هذا الاطار لابد من الإشارة إلى السياق الثقافي العام الذي ظهرت فيه هذه النظرية، التي عملت على زحزحة المؤلف وسلطته على النص، فهي وليدة ظرف ثقافي متميز مرتبط بالمشروع الفلسفي لما بعد الحداثة القائم على نقد مركزية الذات (مخلوف بوكروح، المرجع السابق 2011، ص 15).

أما بخصوص المؤثرات التي أسهمت في بلورة نظرية التلقي في منتصف السبعينيات من القرن الماضي، فقد أوضحها (روبرت هانز ياوس Robert Hans Jauss) أحد رواد نظرية التلقي في جامعة كونستانس الألمانية في دراسة بعنوان " التغير في نموذج الثقافة الأدبية " قدم فيها لمحة شاملة لتاريخ المناهج الأدبية، مؤكدا على ضرورة إعادة النظر في المناهج والأساليب الدراسية التي لم تعد تلبي حاجة البحث في مجال الأدب والفن، مشيرا إلى أن نظرية التلقي تمثل ذلك النموذج الجديد الذي يمكن الاستئناس به في قراءة الأعمال الأدبية والفنية.

كما لعبت التيارات النقدية مثل الشكلانية، والبنياوية، والظاهراتية، وسوسيولوجية الأدب دورا أساسيا في نشأة نظرية التلقي.

شكلت هذه العوامل الدافع الأساسي وراء الدعوة إلى إعادة النظر في المناهج السابقة وتوجيه الدراسات في حقل الأدب واللغة وجهة جديدة. وقد كان لهذه المصادر تأثير مباشر على منظري مدرسة كونستانس الذين أكدوا على أن مهمة الناقد لا تنحصر في إيضاح النص وشرحه، بل في الكشف عن الآثار التي يتركها النص على القارئ، مؤكدين على أن المتلقي هو المركز في تحديد معنى النص.

إنه لا بد من التأكيد على أن كل من كتبوا في نظرية التلقي باتجاهات مختلفة يجمعهم اهتمام واحد هو الدور الذي يلعبه المتلقي في النسيج المعقد للفن.

ومن بين المؤثرات التي عجلت في تشكل نظرية التلقي الفلسفة الظاهرتية أو (الفينومونولوجية) بزعامة (إدموند هوسرل Edmund Husserl) و(رومان اينجاردن Roman Ingarden)، وترتكز هذه الفلسفة على ترابط الفكر والوجود الظاهري للأشياء، وتؤمن بتفاعل الذات والموضوع بطريقة تواصلية من الصعب الفصل بين هاذين الفاعلين.

ويرى الفيلسوف (فريديرك شليرماخر) – الذي وضع أسس علم الهرمينوطيقا الحديث – أن فهم النص مهما كان نوعه مرهون بمعايشة الجمهور تجربة غريبة عنه، وذلك من خلال رصد تجربة المؤلف ومعايشتها باعتبار أن النص ذاته إعادة بناء خيالية، مع مراعاة أن معنى النص يتغير بتغير المجتمع الذي يتلقى هذا النص ومن ثم يحتاج المتلقي إلى إعادة بناء النص مرة تلو الأخرى. والمقصود بإعادة البناء هنا هو الفهم.

أما الفيلسوف (مارتن هيدغر Martin Heidegger) فقد انطلق من القطيعة مع النظام الفكري الذي أرساه من قبله هوسرل، مؤكدا على أن المعنى يكون تاريخيا، معتبرا أن اللغة ليست مجرد أداة اتصال أو وسيلة ثانوية للتعبير عن أفكار محددة، بل هي البعد الحقيقي الذي تتحرك فيه الحياة الإنسانية والذي يأتي بالعالم إلى الوجود أصلا، فلا عالم بالمعنى الإنساني المميز دون لغة (مخلوف بوكروح، مرجع سابق، ص 42).

3- اسهامات (ياوس وإيزر) في نظرية التلقي:

أ- اسهامات (هانز روبرت ياوس) : صاغ ياوس نظريته (جمالية التلقي أو نظرية الاستقبال) انطلاقا من النظريات التي تتعلق بالمعنى والعمل الأدبي ووظيفته، وموقف المتلقي من العمل، وصلته به والمبادئ التي تنظم هذه الصلة (ناظم عودة، المرجع السابق، ص 133)، وقد خصص اهتمامه للتلقي المنبثق من العلاقة بين الأدب والتاريخ.

ويتم بناء المعنى حسب ياوس من خلال تأويل العمل الأدبي، مستندا في ذلك إلى افتراضات (غادامير) في العملية التأويلية، حيث تخضع إلى ثلاث وحدات متلازمة هي : الفهم والتفسير والتطبيق. وقد وجد (ياوس) – وفق نظرة (غادامير) أن جمالية التلقي نجحت في معرفة فكرة أن «الفهم يتضمن دائما بداية التفسير، وأن التفسير، بالتالي هو الشكل الظاهر للفهم» (ناظم عودة، مرجع سابق، ص 136) بمعنى أن الإدراك الأدبي يرسم الطريق التي يفسر الأدب بها، وإن عملية التفسير، أي صياغة المعنى تدمج الإدراك أيضا، وهذا يعني أن النص (أي نص فني) ليس له معنى خالص يكونه لوحده إنما المعنى يتشكل بصورة حتمية مع الإدراك.

ب-أسهامات(فولفغانغ آيزر) : تتمثل نقطة البدء في نظرية (آيزر) الجمالية في تلك العلاقة الجدلية التي تربط بين النص والقارئ، وتقوم على جدلية التفاعل بينهما في ضوء استراتيجيات عدة (محمد بلوحي، دت، ص 85)، وانطلق من البداية نفسها التي ينطلق منها (ياوس)، وهي الاعتراض على مبادئ المقاربة البنيوية، والاهتمام بدور المتلقي في قضيتين أساسيتين هما : تطور النوع الأدبي، وبناء المعنى (ناظم عودة خضر، مرجع سابق، ص 147).

وينطلق (آيزر) من مرجعيات فلسفية متنوعة، فقد اعتمد على الفلسفة الظاهرتية، وعلم الثفس، واللسانيات، والأنثروبولوجية، وأعمال (رومان إنغاردن)، كما استفادة من

نظرية النسبية التي تؤكد على نسبية الحقيقة، وبالتالي يرى أنه لا وجود حقيقي للعمل الأدبي إلا حين يتواصل القارئ مع النص.

وإذا ما اشترك (آيزر مع ياوس) في الاعتراض على المقاربة البنيوية للمعنى التي تشدد في جعل بنية النص حاملة للمعنى وخازنة له، فإنه يفترق عنه في المحرك النظري أو الإجرائي لمفاهيمه ونظراته، ولا سيما في كيفية مقاربة المعنى وبنائه فضلا عن عنايته في ابتداع مفهوم محض إجرائي جديد لنظراته هو مفهوم (القارئ الضمني) عوضا عن (أفق الانتظار) أو القارئ الحقيقي التاريخي لدى (ياوس) (بشرى موسى صالح، 2001، ص 49).

4- قضية استجابة القارئ:

يعد القارئ محورا رئيسا في المفاهيم النظرية الإجرائية في اتجاهات النقد الأدبي أو اتجاهات ما بعد البنيوية كالتفكيكية والتأويلية والسميولوجية والقراءة والتلقي، وشكلت فاعلية القراءة المهمة المركزية للنقد المتمحور حول القارئ. أما المصطلح المتداول لدى المعاجم الأنجلوأميريكية، فهو مصطلح (استجابة القارئ) الذي مارس تأثيره في الثقافة الأنجلوأميركية المعاصرة، ويعزو بعض الدارسين الفرنسيين الاهتمام بالقارئ إلى كتابات فاليري، وسارتر في كتابه ما الأدب (أحمد بوحسن، 1993، ص18)؟

وإذا ما أردنا أن نميز بين الاسم الأمريكي للنقد المتمحور حول القارئ المتمثل بـ (نقد استجابة القارئ) وبين (نظرية الاستقبال والتلقي)، فنجد أن الأول لا يحمل طابع النظرية بل هو نقد أو نظرات نقدية مشتتة، تعود إلى أعلام أمريكيين موزعين في بقاع العالم، يكتبون في صحف مختلفة وليس لهم تجمع، وجهودهم تعبر عن نشاط فردي ومهارة ذاتية.

أما (نظرية الاستقبال والتلقي) فتعبر عن تماسك ووعي والتزام جماعي، وهي رد فعل للتطورات العقلية والاجتماعية والأدبية في ألمانيا الغربية خلال الستينات، وإن العديد من المؤمنين بهذه النظرية مرتبطون بجامعة كونستانس، إما أساتذة أو خريجين أو من المشاركين في المؤتمرات نصف السنوية، وإن إجراءات تلك الاجتماعات قد تمت طباعتها في سلاسل بعنوان " الشعرية والتأويل " (روبرت سي هولب، 1992، ص 8).

5-نظرية التلقي في التراث العربي القديم:

إن نظرية التلقي بأصولها ومبادئها ليست وليدة ثقافة غربية بحتة،و إنما نجد في تراثنا العربي من أشار إلى أهمية المتلقي في الخطاب، بما في ذلك الخطاب القرآني، كما فعل (الجاحظ)، و(ابن قتيبة)، و(عبد القاهر الجرجاني)، و(القاضي عبد الجبار)، و(الزركشي)،

وغيرهم،فعلى سبيل المثال، فقدأشار (عبدالقاهر الجرجاني) إلى أهمية المتلقي في عملية فهم النص، وقد ساعدها اختلاف تفاسير النص القرآني على اكتشاف معضلة الفهم والوعي بها، مما يعني أن الاهتمام بالمتلقي ظل حاضرا في تراثنا العربي،غير أن القدامى لم ينظروا له، وكانت مدرسة كونستانس الألمانية سباقة إلى ذلك،فوضعت أسس ومبادئ نظرية التلقي.

إن المتأمل في النقد العربي القديم والبلاغة العربية، يقف على مدى العناية التي أولاها النقاد والبلاغيون العرب للمتلقي. ولعلنا نلمس ذلك الاهتمام في أقوال العلماء المبثوثة في مؤلفات النقد والبلاغة القديمة؛ ك "البيان والتبيين" للجاحظ، و"عيار الشعر" لابن طباطبا، و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني، و "منهاج البلغاء" لحازم القرطاجني. وقد تنبه هؤلاء العلماء لعدة قضايا تتعلق بالتلقي التي عالجتها نظرية التلقي الحديثة، كقضية مشاركة المتلقي المبدع في عملية إنتاج الخطاب، وقضية الأثر النفسي الذي يتركه النص في متلقيه، وكان لهم فضل السبق.

وقد تفطن علماء البلاغة العربية قديما إلى هذه العلاقة المتينة التي تجمع بين متلقي النص ومبدعه، وما تتميز به هذه العلاقة من إقناع وتأثير، وتشارك وتفاعل، وما كتبه هؤلاء العلماء من نصوص حول الأدب وأبعاده الجمالية، والقرآن وأسراره البيانية، تكشف عن وعيهم بهذه العلاقة. لقد كان هؤلاء العلماء على وعي بأن العملية الإبداعية يستوجب تحققها ثلاثة عناصر هي: المبدع والمتلقي والعمل الأدبي؛ وبمصطلح البلاغة العربية: المخاطِب والمخاطَب والخطاب الأدبي، باعتباره رسالة من المبدع (المخاطِب) إلى المتلقي (المخاطَب) في مقام أو ظرف معين، وبنظام بياني خاص هو البيان العربي.

وقد أولى علماء البلاغة اهتماما وعناية بمؤلف النص وبالمتلقي، وبينوا وظيفة كل طرف وأثره في تشكيل النص (الخطاب)، بل يمكن القول إن المتلقي في تراثنا البلاغي العربي (سواء أكان قارئا أم مستمعا) قد حظي بمكانة كبيرة فاقت مكانة المؤلف نفسه، لأن الخطاب يُكتب للمتلقي، وإليه يتوجه ويروم إفهامه وتوصيل الغرض أو القصد إليه.يقول الجاحظ: "مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام" (أبو عثمان الجاحظ، 1968، ص 54 – 55).

وكما اهتم البلاغيون بعلاقة المتلقي بالخطاب، اهتموا كذلك بمنازل المخاطَبين وأقدارهم الاجتماعية وأحوالهم الفكرية؛ لذلك وجدنا في هذا التراث دعوة صريحة لأن يكون الخطاب مناسبا لشخصية المخاطَب (المتلقي) قارئا كان أو سامعا، فلا يخاطب الطفل مخاطبة

الكهل، ولا يكلم العالم بلغة الجاهل، ولا يخاطب الذكي بلغة الغبي، ولا الملوك بخطاب العامة، ولا العامة بخطاب الخاصة، فلكل فئة كلام، ولكل طبقة مقال.

يقول بشر بن المعتمر: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات (الجاحظ، دت، ص 87 -88) ". ويقول الجاحظ: "ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والعمل عليهم على أقدار منازلهم... لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة" (الجاحظ، المصدر نفسه، ص 64).

6- التلقي وأطروحاته الأربع:

يتعلق الحديث عن وضعية التلقي حتما الحديث عن مفهوم الجمهور، الذي تمّ النظر إليه انطلاقا من مقاربتين رئيستين، الأولى يدور محورها حول حتمية التأثير، التي يكون فيها المتلقي مجرد مستهدف سلبي لا يحق له إضفاء تعديلات على سيرورة الاتصال، أما الثانية فهي تلك المتعلقة بالرؤية الإرتباطية أو النسبية التي تتداخل فيها عدة متغيرات لتفسير وتأويل الرسائل الإعلامية انطلاقا من شخصية المتلقي وتجربته المتراكمة، أي أنها تدرس فعل التلقي في حد ذاته.

وانطلاقا من ذلك هناك أربع أطروحات تتعلق بمجال البحث في ميدان التلقي، والتي اتخذتها المقاربة الثانية كأساس تنظر إلى التلقي بأنه بنية حقيقية تدور حول ديناميكية مشاركة المتلقي في استقباله للمضامين الإعلامية.

1.6 التلقي (الاستقبال) يعني القيام بفعل (Recevoir ,c'est agir)

يعني التلقي في هذا المقام تسلسل الأعمال المنجزة، فالمتلقي عندما يواجه مباشرة عملا ما: ورقة، شريط، كلام، فهنا لا توجد معاني، ولا أثر للمعاني لكن هناك أشكال، أصوات، يعمل وعي المتلقي في هذه اللحظة على تقديم دلالات لأنه قد قام بتخزين الرموز التي تلقاها،وبالتالي فإن تعاقب الأفعال تكون معاني الأشكال والصور التي واجهها في الأول، فالتلقي هنا يشكل نشاطا أساسيا لتكوين المعنى نتيجة لاستقبال أشكال مختلفة، كما يعمل الانتباه دورا هاما في هذه المرحلة، حيث يقوم المتلقي باختيار و إقصاء الأفكار وذلك من أجل الفهم، وهذا يرتبط بالدرجة الأولى بنوعية الموضوعات التي يستقبلها المتلقي، ويقوم بملئ ما لم يصرح به النص عن طريق تجربته الشخصية، لأن النصوص ليست دائما كاملة وإنما المتلقي هو الذي يملأ الفجوات التي تحملها.

2.6 التلقي يعني معايشة ثلاثة عوالم (recevoir,c'est mener trois vies)

يرتبط التلقي في هذه الأطروحة بالعلاقة التي يقيمها المتلقي مع النصوص التي يتلقاها وذلك من خلال ما يسمى بعملية المشاركة.

وتتم هذه المشاركة من خلال ثلاث مستويات (عوالم) نوجزها فيما يلي:

- المستوى الأول: هنا المتلقي تربطه علاقة بين نظام من الرموز الملموسة كالألوان والأصوات، فيقوم المتلقي بمقارنة ما يتلقاه مع ما هو موجود في الحقيقة.

- المستوى الثاني: يتم فيه إحداث نوع من التفاعل مع الرسالة التي يتلقاها، وهذا ما يتعلق بتركيز انتباهه لما يستقبله عن طريق فهمه لسلوك الشخصيات و إيماءات وجوههم ومختلف المناظر الموجودة في الرسالة التي يتلقاها، وهنا المتلقي يقوم بإصدار رد فعل كالضحك أو الخوف أو حدوث نوع من المفاجأة.

- المستوى الثالث: وفيه يقوم المتلقي بمقارنة ما تمت مشاهدته في المستويين السابقين وذلك من أجل تقييم ونقد كل ما تم استقباله.

3.6 التلقي يعني التعبير (recevoir, c'est s'exprimer)

مهما كان شكل الاتصال، فان موضوع التلقي يختلف باختلاف الدلالات التي يكونها المتلقي نتيجة لتجربته المتراكمة، لذ هذا لا يمنع من إقامة مقارنات بين كل ما يستقبله المتلقي، وهنا يتم التعبير عن كل ما استقبله عن طريق حدوث انفعالات وإصدار أحكام، ويتم ذلك من خلال أربعة مراحل يظهر من خلالها المتلقي شرحه وفهمه للنص:

- شكل الموضوع الذي يستقبله والمعرفة التي يكسبها تسمح للمتلقي بمقارنة كل ما استقبله.

- فضول المتلقي لفهم النص، يساعده على اكتساب نوع من الفائدة التي من خلالها يستطيع المتلقي أن يقيم ويحكم على ما تم استقباله.

- المواقف التي يتخذها المتلقي من جراء تلقيه للرسالة، هي الأخرى تدل على المغزى الذي فهمه المتلقي من الرسالة.

- تلعب آفاق توقعات المتلقي وذوقه دورا هامات في شرح وفهم النص الذي يتلقاه.

4.6 التلقي يعني تشكيل الصور (recevoir, c'est faire des figures)

إن التلقي هو نظام من الأشكال، والمتلقي يقوم بوصف وتحويل كل ما تم استقباله في إدراكه إلى أشكال وصور ،وبالتالي يؤسس دلالات مختلفة، ويتم ذلك وفق عمليات متعددة تتعلق بإصدار عواطف مختلفة، كالفرح والحزن والحماس والتعاطف، وهذه العملية

تتداخل فيها تجربة وخبرة المتلقي السابقة. ولفهم كل ما يتلقاه لابد عليه من بذل مجهود يتعلق بإدراكه لمختلف الأحداث ووضع خاتمة لكل ما يستقبله. تشكل هذه العمليات الحلقة الأولى لتشكيل السلسلة الصورية كما يشكل الدافع الذي يؤدي بالمتلقي إلى استقبال العمل مهما كان نوعه أهمية تساعد على تشكيل صورا مختلفة للنص الذي تلقاه، ويمثل هذا الدافع الحلقة الثانية التي تؤدي إلى تشكيل صور مختلفة وتساعد المتلقي على تشكيل دلالات عن طريق ترجمته للنص التي تظهر في شكل رجع صدى الذي يمثل في حد ذاته الحلقة الثالثة في سلسلة تشكيل الصور، وعادة ما تكون هناك أنواع مختلفة من رجع الصدى منها:

- الانفعالات الناتجة عن استقبال النص.
- تطورات أحداث النص التي تحدث بطريقة غير مباشرة تجعل المتلقي يعيش في عالمه الخيالي.
- معايشة النص وذلك عن طريق إدراكه بطريقة مناسبة مما يؤدي إلى تشكيل أراء مختلفة
- الحوافز التي تؤدي إلى تبني سلوك معين .

وتبعا لما قيل ،فان فعل التلقي يمر عن طريق حدوث هذه الأطروحات الأربع التي هي ثابتة في مراحلها ولكنها مختلفة في جوهرها من متلقي إلى أخر، لأن النظريات الحديثة أكدت أن مبدأ الفروق الفردية، والتجربة والخبرة السابقة للمتلقي تلعب دورا كبيرا في إضفاء دلالات مختلفة تختلف باختلاف السياق الذي يوجد فيه المتلقي ، ومن ثم فإن لكل واحد قراءة خاصة به.

ومن جهة أخرى وحسب (شيماء ذو الفقار زغيب) فان عملية تشكيل وتغيير الاتجاهات وفقا لنموذج "التلقي- إعمال العقل- القبول" تمر بالمراحل الآتية (شيماء ذو الفقار زغيب، 2004، ص 226).

*** مرحلة التلقي:**

بما فيها من انتباه وفهم للرسالة، وهي تعد نقطة الارتكاز الأساسية للنموذج، فدون حدوث انتباه وفهم للرسالة لا يمكن أن ينتقل الفرد للمراحل التالية في عملية تشكيل الاتجاه، ولكن مع ملاحظة أن مستويات الفهم متفاوتة بين الأفراد حيث يتحكم في ذلك متغيرا ت كثيرة، منها مستوى المعرفة السابقة والمستوى التعليمي و المحيط الثقافي و السياق التي تقدم من خلاله الرسالة وغيرها من المتغيرات .

*** مرحلة إعمال العقل:**

وفيها يتدرج المتلقي في مستوى إعماله للعقل في الرسائل التي تلقاها ما بين الإعمال للعقل (الطريق الهامشي) والإعمال التام (الطريق المركزي)، مع ملاحظة أن مستوى إعمال العقل يرتبط إلى حد كبير بمستوى الفهم الذي حدث في المرحلة السابقة.

* مرحلة القبول أو الرفض:

وفيها يقبل المتلقي أو يرفض الرسائل التي تلقاها بناء على النتيجة التي خرج بها من أعمال عقله في هذه الرسائل، وما تتضمنه من حجج وبراهين...الخ

*** مرحلة تغيير الاتجاه:**

وهي المرحلة النهائية المترتبة على مدى قبول أو رفض الرسائل التي تم تلقيها وإعمال العقل فيها.

ويوضح الشكل التالي هذه المراحل:

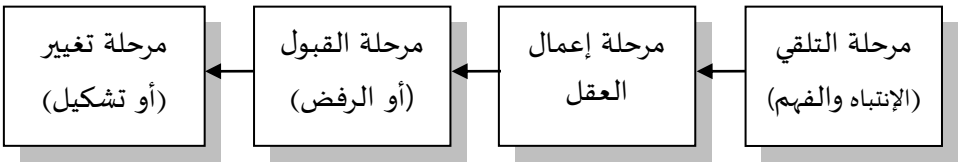

(شيماء ذو الفقار زغيب، ص 227)

ونجاح العملية التواصلية كما ترتبط بطبيعة المرسل كمكون مهم في هذه العملية، يرتبط أيضا بنوعية جمهور المستقبلين- كمكون ثاني أساسي في الفعل التواصلي- وبإطاره المرجعي، فالمستقبل يتلقى الرسالة في صورة رمزية غالبا، ويعمل على فك رموزها ويتفهم معناها في ضوء خبراته السابقة وحاجاته، وكلما تشابهت خبراته هذه مع مرسل الرسالة كلما ازدادت كفاءته في تحليل الرسالة وفكرموزها بالشكل الصحيح.

وتعتمد كفاءة الفعل التواصلي إلى جانب ذلك كيف يستقبل الجمهور ويدرك ويفسر المادة الاتصالية (الرسالة)، وكيف يتصرف الجمهور إزاء مصدر الرسائل، هل يتفاعل معه، أم يقبل هذا المصدر فحسب؟ (مختار بروال، 2009، ص 112)

إن دراسة الجمهور وتحليله تثير العديد من الأسئلة. فما الذي يركز عليه التحليل ، وكيف يمكن الإفادة منه لتعزيز فاعلية العملية الاتصالية.

وهذا التحليل يتناول على وجه التحديد:

- علاقة الجمهور بالمرسل.
- علاقة الجمهور بالرسالة.

- تحيز الجمهور.
- مشاركة الذات الفردية في الجمهور.

ويتصف الجمهور المستقبل للرسالة بخصائص تؤثر في مدى استجابته للرسالة القادمة من المرسل .

وتنقسم هذه الخصائص الى قسمين:

* خصائص ديموغرافية تتصل بالعمر والتعليم والمهنة والحالة الاجتماعية ومكان الإقامة.
* خصائص سيكولوجية (نفسية) واجتماعية. (مختار بروال، المرجع السابق، ص112)

وهناك عدد من العوامل التي تؤثر في فهم الرسالة أو عدم فهمها مثل:

* اللغة المشتركة والمفهومة بين كل من المرسل والمستقبل، سواء أكان ذلك بالنسبة إلى اللغة القومية المشتركة كاللغة العربية، أم المصطلحات اللغوية المستخدمة في اللغة الواحدة. وكثيرا ما يساء فهم الرسالة إذا لم تكن هناك لغة مشتركة وواضحة بين المرسل والمستقبل.
* درجة الانسجام والتجانس بين المرسل والمستقبل، وشعور الاحترام والود والثقة الموجودة بينهما. فالمرسل لا يجد عناء كبيرا في إيصال أفكاره إلى المستقبل في حالة وجود مشاعر إيجابية لديه.
* ثقافة المستقبل وخبرته ومعرفته بالموضوع الذي يقوم باستقبال معلوماته. (مختار بروال، المرجع السابق، ص112)

والتفاعل والترجمة للرموز والتأثر بمحتوى الرسالة ليس نفسه عند أفراد الجمهور سواء أكان المستقبل قارئا أم مستمعا أم مشاهدا، وهذا يستلزم توافر مواصفات في شخص المتلقي، حتى يتمكن من فهم أبعاد الرسالة ومدلولاتها ليستطيع من خلال ذلك الإسقاط الواقعي لمضامينها، ومن هذه المواصفات:

- أن تكون له من المهارات الاتصالية ما يجعله قادرا على الاستماع والقراءة والتفكير.
- أن يحوز على مستوى من العلم والمعرفة ما يؤهله لفك رموز الرسالة، كان يكون له سابق

تصور على الموضوع الذي يستقبله (عاطف عدلي العبد، 1993، ص 87).

- أن يكون على درجة من الانسجام والتجانس بينه وبين المرسل، أي الشعور بالاحترام والثقة بينهما.

- تواجد مؤثرات اجتماعية ايجابية أو سلبية بين المرسل والمستقبل (رحيمة عيساني، 2007، 79).

ومن أهم الشروط المؤهلة للمخاطبين ليستفيدوا من الرسالة:

- حسن الاستجابة للخطاب ولندائه ومعانيه لقوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الذين ءامنُوا استجيبُوا للهِ وللرسولِ إذا دعاكُمْ لما يحييكُمْ ﴾ (الأنفال: 24) لأنه يدعو إلى الخير والحق.

- حسن الأدب مع القائم بالخطاب والتواضع معه وحسن الظن به وحسن مساءلته ومساعدته.

الثقة التامة بالمتلقي والاهتمام به ومحبته مما يؤدي إلى الرغبة في التلقي منه.

- حسن الفهم والاستيعاب لمضامين الخطاب وأبعاده.

- الابتعاد عن التحيز والأحكام المسبقة.

أن يكون المستقبل هادئا عند استقبال الرسالة حتى يستطيع أن يفهمها ويستوعبها ويفكر

فيها، وهذا الهدوء يشجع الملقي على مضاعفة وتحسين إلقائه ويجعله يعطي أكثر مما خطط له، ومن جهة أخرى يضاعف الهدوء من عملية التركيز خاصة عند طرح أفكار جديدة.

أن يكون المستقبل حسن الانتباه، وهناك بعض العلامات الدالة على ذلك مثل الجلوس بشكل مستقيم والنظر بالعينين إلى المتحدث نظرة اهتمام ورغبة وليست نظرة استغراب واستياء. وفي المقابل هناك علامات توحي بعدم الاهتمام مثل التحدث مع الآخرين وتلاوة القرآن أثناء الإلقاء والتململ والنظر إلى الخارج أو الساعة.

فكل ذلك من شانه أن يعيق نقل رسالة الخطاب وفهمها بشكل صحيح.

7-حالات المستقبل أو المتلقي:

أكد المختصون أن هناك أربعة احتمالات نتوقعها من المستقبل للرسالة وهي:

- فهم الرسالة فهما كاملا، بمعنى مشاركة المستقبل للمرسل في الأفكار والإحساسات التي تنقلها.

- فهم الرسالة فهما غير كامل، كأن يفهم أجزاء منها دون الأخرى.

- فهم الرسالة فهما خاطئا بسبب تفسير المستقبل للرموز المستخدمة في ضوء خبراته غير مشابهة لخبرات المرسل.

- عدم فهم الرسالة نهائيا، بسبب استخدام المرسل لرموز غير مألوفة للمستقبل، كأن يستخدم المرسل كلمات صعبة تفوق المستوى اللغوي للمستقبل.

8- أنماط التلقي و المتلقين:

إذا استمع مستمع لخطاب ما، أو نظر ناظر فيه، فإما أن يكون مهتما بالخطاب متطلعا إلى تلقيه، وإما لا، فالأول هو (المهتم)، والثاني هو (غير المهتم)، والمهتم إما أن يبتغي الوصول إلى معنى يؤديه الخطاب، وإما لا، أي أنه يبتغي الوصول إلى معنى لا يؤديه الخطاب.

والثاني هو (المغرض)، والأول الذي يبتغي الوصول إلى ما يؤديه الخطاب إما أن يبتغي الوصول إلى كامل ما يؤديه الخطاب من معنى، وإما أن يبتغي الوصول إلى جزء المعنى الذي يؤديه الخطاب.

فالأول هو المتدبر. والثاني الذي يبتغي الوصول إلى جزء المعنى الذي يؤديه الخطاب لا يخلو من ثلاثة أحوال: فإما أن يبتغي الوصول إلى كل المعنى المقصود دون اللازم غير المقصود، وهو (البياني)، وإما أن يبتغي الوصول إلى معنى خاص سواء أكان مقصودا أم لازما غي مقصود، ولا علاقة له بباقي المعاني، وهو (المختص). وحاصل هذه القسمة يولد لدينا ستة أنماط نهائية لتلقي الخطاب بحيث تتحد هذه الأنماط في فعل التلقي، استماعا أو نظرا، ويختلف كل نمط منها عن غيره في الغاية الباعثة عليه، وهذه الأنماط هي: تلقي (غير المهتم)، وتلقي (المغرض)، وتلقي (المقتصد)، وتلقي (البياني)، وتلقي (المختص)، وتلقي (المتدبر) (أيمن صالح، 2005، ص 30).

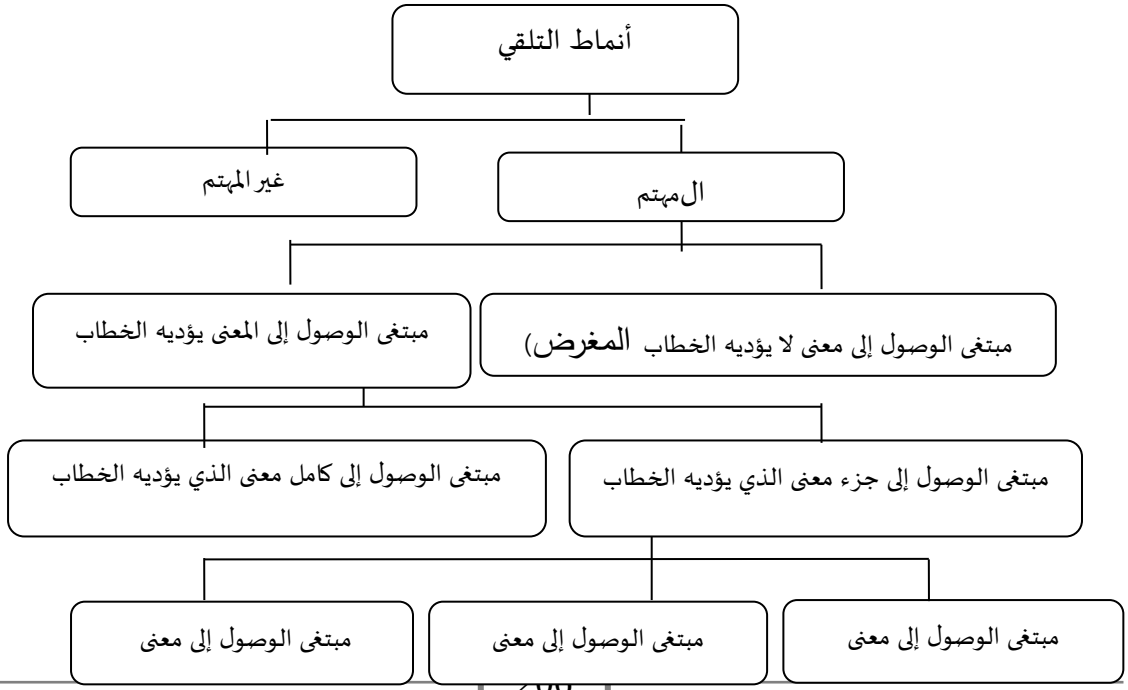

شكل رقم (2) : أنماط التلقي

1.8 نمط التلقي الأول: تلقي (غير المهتم):

وهو النمط الذي يباشر صاحبه فيه فعل التلقي، استماعا أو نظرا، لكن من غير أن يعبأ بالخطاب ذاته أو بمعناه، أو يهتم بالخطاب لكن لشيء آخر غير المعنى ولحدوث هذا النمط من التلقي أسباب كثيرة منها:

* أن يكون المتلقي كارها أو مستثقلا لفعل التلقي نفسه المفروض عليه من الخارج كالطالب الكسول الذي يستثقل السماع من مدرسه إلا أنه مجبور عليه.

* ومنها أن يكون نظر المتلقي في الخطاب لا لعينه، وإنما بحثا عن غيره المتصل به كمتصفح الجريدة مثلا بحثا عن خبر معين أو إعلان خاص، فإن نظره قبل وصوله إلى مبتغاه لا بد واقع على الكثير من الكلام الذي لا يبالي به.

* ومنها أن يكون المتلقي شارد الذهن لاهي القلب وقت التلقي لكفر بالخطاب أو تكذيب أو غفلة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهيةً قلوبُهُم وأسرُّوا النجوى الذين ظلمُوا هلْ هذا إلاَّ بشرٌ مثْلكُمْ أفتأْتُون السحْرَ وأنتُمْ تُبصرونَ ﴾ (الأنبياء: 2-3).

فوصفهم الله تعالى بممارسة فعل التلقي (يستمعون) لكنهم مع ذلك غافلو الظاهر (يلعبون) وغافلو الباطن (لاهية قلوبهم).

2.8 نمط التلقي الثاني: (تلقي المغرض):وهو الذي يبغي فيه صاحبه الوصول إلى معنى لا يؤديه الخطاب وإن كان قد يحتمله لغة احتمالا بعيدا، يريده منه لسبب أو لآخر. فالمغرض هو ذاك الذي يريد أن يوظف الخطاب توظيفا يتماشى وهواه بحمله على ما يريد هو، لا على ما يريده المتكلم منشئ الخطاب. ومن هنا نجده لا يتحفظ على بتر الخطاب عن سياقه و ظرفه اللذين قيل فيهما، ووضعه في سياق وظرف وآخرين ليحمله ما لا يحتمل، وليقوله ما لا يقول. وهو النمط الذي يعبر عن مضمونه كثيرا بـ (ليُّ أعناق النصوص) قال تعالى:﴿ يُحرفُونَ الكلِمَ عن مواضِعِهِ﴾ (المائدة: 13).

وقال: ﴿ فأمَّا الَّذينَ في قُلوبِهِمْ زيغٌ فيتَّبِعون ما تشابه منْهُ ابْتغاء الفتْنةِ وابْتغاءَ تأْويلِهِ﴾ (آل عمران: 7).

3.8 نمط التلقي الثالث: تلقي (المقتصد): وهو النمط الذي يبغي منه صاحبه الوصول إلى المقصود القريب للمتكلم، ولا يبغي – ربما بحكم قدراته المحدودة – أن يكلف نفسه عناء الوصول إلى المقصود أو المقاصد الأبعد، والتي قد تكون خفية أو بعيدة بعض الشيء، فهو يقتنع بما يدل عليه الخطاب بعباراته أو بظاهره.

4.8 نمط التلقي الرابع: تلقي (البياني): وهو النمط الذي يبغي فيه صاحبه الوصول إلى المعنى المقصود من الخطاب فحسب. فالعبرة عنده بما قصد المتكلم الإفصاح عنه أو بيانه من خلال خطابه.

5.8 نمط التلقي الخامس (تلقي المختص): وهو النمط الذي يبغي فيه صاحبه الوصول إلى معنى خاص يؤديه الخطاب، وسواء عنده أكان هذا المعنى مقصودا للمتكلم أم غير مقصود.

6.8 نمط التلقي السادس: تلقي (المتدبر): وهو النمط الذي يبغي فيه صاحبه الوصول إلى كامل معنى الخطاب أي إلى كل المعاني المقصودة وكل المعاني غير مقصودة.

خاتمة:

من خلال هذا البحث يمكن استخلاص النتائج التالية:

*مكانة وأهمية موضوع التلقي الذي أصبح يشكا نظرية متكاملة في فضاء الخطاب الإنساني.

* مكانة المتلقي الذي أصبح يعد الفاعل الحقيقي لإنتاج الدلالات والمعاني.

* اتساع مفهوم نظرية التلقي لجميع أنواع الخطابات.

* لنظرية التلقي امتدادات وتأصيلات في التراث العربي.

* للتلقي أطروحات متنوعة تؤكد ايجابية ومشاركة المتلقي.

* لعملية التلقي مراحل متسلسلة منطقيا.

* تخضع عملية نجاح التلقي لعوامل وشروط موضوعية.

* للتلقي أنماط متعددة ومتكاملة.

*إن موضوع التلقي والمتلقي جدير بمزيد من الدراسات النظرية والميدانية وربطه بكل ميادين الحياة وتشعباتها وتخصصات الميادين العلمية.

المراجع:

1- مخلوف بوكروح، (2011) التلقي في الثقافة والاعلام، ط1، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر.
2- ناظم عودة خضر، (1996) الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، عمان، ط1.
3- بشرى موسى صالح، (2001)نظرية التلقي، أصول ونظريات، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب.
4- أحمد بوحسن، (1993) نظرية التلقي في النقد العربي الحديث، منشورات كلية الآداب، الرباط.
5- روبرت سي هولب، (1992)نظرية الاستقبال، تر رعد عبد الجليل، دار الحوار، اللاذقية، ط1.
6- الجاحظ، أبو عثمان، (1968)، البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت.
7- ذو الفقار، زغيب شيماء، (2004)، نظريات في تشكيل إتجاهات الرأي العام،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
8- سويف، مصطفى، (1999)، دراسات نفسية في الإبداع والتلقي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
9- عدلي العبد، عاطف، (1993)، الاتصال والرأي العام، دار الفكر العربي، القاهرة.
10-هولب، روبرت، (2000)، نظرية التلقي: مقدمة نقدية، ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة.

11- عيساني، رحيمة، (2007)، مدخل إلى الإعلام والاتصال، مطبوعات الكتاب والحكمة، باتنة.

12- ناظم عودة، (1996) نظرية التلقي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد.

13- بروال، مختار، (2009)، الكفاءة التواصلية في الإدارة المدرسية،قسم علم النفس والعلوم التربوية، كلية العلوم الإجتماعية، جامعة باتنة، الجزائر.

14- شعبان، حنان، (2009)، أثر الفواصل الإشهارية التلفزيونية على عملية التلقي،قسم الإعلام والاتصال،. كلية العلوم السياسية و الإعلام، جامعة الجزائر3، الجزائر.

15- بوكروح، مخلوف، (2006)، محاضرات في مقياس نظريات التلقي للسنة الأولى ماجستير علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر.

16- محمد بلوحي، جماليات التلقي عند مدرسة كونستانس الألمانية (جهود ياوس وآيزر)، مجلة عمان، ع 113، الأردن، 2004، ص 85.

17- توامة، عاشور، (2016)، بلاغة الخطاب القرآني وأثرها في المتلقي، مجلة قراءات، جامعة بسكرة، ع8، ص؛ 11.

18- العيفة، جمال، (2005)، القراءة والمشاهدة في عصر تكنولوجيا الاتصال السمعية البصرية، دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة باجي مختار، المجلة الجزائرية للاتصال، عنابة، (ع 19)، ص ص؛ 127-128